المصـــــدر : اليوم
التـــاريخ : 09-06-2006 العـــدد : 12047
الصفحـات : 14 المسلسل : 128

يمـامـة فـي رحـاب المـلـك!!

المصـــــدر : اليوم
التـــاريخ : 09-06-2006
الصفحـات : 14
العـــدد : 12047
المسلسل : 128

ساعتها الحيوية الصادقة، أو (البيلوجية) كما يسميها المفتونون بلغة العلم سام لا تخطئ حسابها ابدا.. لاتتقدم دقيقة، ولا تتأخر دقيقة، تعرف لليل حقه من سكونه وهدأته.. وتعرف للنهار حظه في حركته ويقظته، ولا يمكن ان تخالف طبيعتها كما يخالفها الانسان، لا يمكن ان تسهر كما يسهر ليلا، ولا ان تنام كما ينام نهارا، فإن خالفت طبيعتها يوما فلتسلطه عليها بإسهار وإشغال.

يا لهذه اليمامة المسكينة كم تشقى لسعادته، فتؤوب اليه رغم عذاباته لها، وهو الذي لم يبادلها الشقاء بشقاء، ولا السعادة بسعادة، بل لم يألم لشقائها الا قليلا.. قليلا يعده لذاته لا لذاتها، ويضربه لامثاله لا لأمثالها، حتى غدت به عبرة تروى وغدا (هو) بها مثلا يحكى.

في وادي النيل شهدت انقضاء تاريخ وبدء تاريخ، وصنعت مثلا ليمتد املا، وأوت الى فسطاط من صوف غليظ خشن.. رأت فيه الهرم الاكبر لدين جديد، ولغة جديدة، وحضارة متجددة... ثم مضت ومضوا اجيالا وأزمانا فلما تذكروا قالوا: لم يهدم الأمير فسطاطه لما رأى بيض اليمامة فوقه، فمجدوه لسبب (هي) صنعته ثم ذكروه فقالوا: عمرو بن العاص رضي الله عنه.. صاحب الفسطاط.. أما هي فأشاحوا بوجوههم عنها مكتفين بقولهم: يمامة أو بيض يمامة!!

وكما يمضي كل شيء فقد مضت لشأنها، وهدم الأمير فسطاطه، ليقيم: دورا وأسواقا ومساجد.. تأوي اليها يمامات وادي النيل المذعورات لينمن قريرات الأعين لا يروعهن احد.

واليوم وقد تغيرت الحياة غير الحياة.. والزمن غير الزمن.. والناس غير الناس، حتى باتت صورة الطيور المبغي عليها طائرات باغيات تقصف وتدمر وتقتل. ولكن بيد الانسان لا بمخالبها.. فعلمت اليمامة- بعد حين- ان الامير الذي ابقى فسطاطه حاضنا لبيضها ما عاد له مثيل اليوم الا ان يشاء الله.. فأمراء الحرب في هذا العصر يتلذذون بخراب العمران ونسفه وتدميره ليقام لكل مشرد من أهله خيمة تظله من حر الصيف، وتقيه برد الشتاء.. أجل خيمة.. ولكنها صغيرة ليس فيها موضع يكن بيض يمامة.. زعموها يمامة سلام!!

في ذلك المساء الداجي ليله.. العليل هواؤه.. كانت اليمامات يقظات لأمر جلل.. فثمة أمر يدبر لها.. وما قرب تلك الاقفاص من اعشاشها بمصادفة.. وما حشد تلك الاعداد المتكاثرة منها بمجازفة.. ولكن ما تراه يكون؟!

هذه المرة في (بريدة) قصبة القصيم.. الغافية على أطراف وادي الرمة.. واليمامات البيضاوات الساهرات ستزف الى الميدان الكبير لتلقى ضيف المدينة فيمن سيلقاه من أهلها.

زينة الطرق ونضارتها وتزويقها بالمصابيح الخافتة الوامضة، وحركة الناس اللاهثة فيها، وسرعتهم المغالبة للزمن.. توحي ان الضيف كبير.. وكبير جدا.

لم تشعر اليمامات المأسورات بوصول الضيف.. ولم تعلم بدخوله حتى انتهى وصحبه الى المكان المعد لهم... كان من تدبير المحتفين ان يفرجوا عن تلك اليمامات الساهرات ابتهاجا بمقدم الضيف الكبير.. فلما فتحوا الأبواب الموصدة وأرادوا اتباعاثها.. ثبطتها أضواء الميدان الساطعة.. ووهج مصابيحها الكاشفة.. تلك التي احالت فضاء المكان الى نهارات ساطعة فتفرقت اليمامات تطير الى غير هدى.. الا واحدة هديت الى اعز مكان في المكان!!

طارت يمامة الميدان سليلة يمامة الفسطاط الى حيث لم يكن مقدرا لها ان تطير.. فحلقت نحو المقصورة الملكية..

عبدالله بن احمد آل ملحم

وتبوأت مكان الصدارة فيها بين الضيف وأخيه.. هنالك بين فهد بن عبدالعزيز (الملك) الذي كان ينظر الى الميدان ويرقب مناشط الحفل.. وبين اخيه (الأمير) عبدالله الذي استرعت انتباهه تلك اليمامة المذعورة!!

يا لبراءتها ما اجملها.. ونظراتها ما الطفها.. والتفاتاتها ما اسلمها.. هل كانت تبحث عن شيء اضاعته في المقصورة.. أم انه الوهج الذي اعشى عينيها فلم تعد تبصر معه؟!

اذا لم يكن هذا ولا ذاك فمالها تدنو من (الأمير).. مالها تقترب منه أكثر فأكثر وحقها ان تنفر منه.. انسيت انه بشر كسائر البشر؟!

ما الذي تريده لترنو اليه.. وما للأمير ينظر اليها كما تنظر اليه؟ ألها ضالة عنده.. أم له حاجة اليها؟!

أي شيء كان يخيفها لتخطو خطواتها المضطربة المذعورة المترددة.. وأي شيء كان يجذبها الى الأمير لتدنو الى متناول يده؟!

لما كان أمن يمامة الفسطاط في مكثها ابقى الامير فسطاطه لها حاضنا، ولما كان امن يمامة الميدان في تحليقها تناولها الأمير بعفوية وحميمية وشفقة.. كما يتناول الأب الشفق صغيره وهو يحبو بين يديه، ثم نظر اليها باسما.. وأطلقها مودعا.. لتلحق بأسراب اليمامات المحلقات الى خارج الميدان.

هكذا.. كتب عليك يا يمامة الحب والأمن والسلام.. أن تكوني مثلا يبرز اقدار الرجال في شفقتهم وحبهم وحنوهم.. وكتب لنا ان نعرف من خلالك ان من يشفق ويحب ويحنو على يمامة مرة.. لا بد وان يشفق ويحب ويحنو على شعبه مرات ومرات ومرات...